

أضواء البيان

@ 517 @ يَرَوِ الْوَسْوَءَ الَّذِي يَخْلَقُ النَّاسَ لَهُمْ مَمَاتًا عَمَلَاتٍ أَيْدِيْنَآ أَرْعَامًا
فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
يَأْكُلُونَ * ! 7 وكذلك في خصوصها في قوله : { وَاللَّيْلُ نَعَامٌ خَلَقَهَا لَكُمْ
فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعًا فَرِحٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّسَّ
تَكُونُوا بِالْغَيْبِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } .

إنها نعم متعددة ومنافع بالغة لم توجد في سواها ألبتة ، وكل منها دليل على القدرة
بذاته . أما الجبال فهي مما يملأ عيونهم في كل وقت ويشغل تفكيرهم في كل حين ، لقربها من
حياتهم في الأمطار والمرعى في سهولها ، والمقيل في كهوفها وظلها ، والرهبنة والعظمة في
تداولها وثباتها في مكانها . وقد وجه الأنظار إليها أيضا في موطن آخر في قوله تعالى :
{ أَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ رُضًا مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } ، ثوابت ، كما بين
تعالى أنها ، رواسي للأرض أن تميد بكم { وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ
وَاللَّيْلُ نَعَامٌ لَّكُمْ } . فهي مرتبطة بحياتهم وحياة أنعامهم كما أسلفنا .
أما السماء ورفعتها أي ورفعتها في خلقها وبدون عمد ترونها وبدون قطور أو تشفق على
تداول زمنها ، فهي أيضا محط أنظارهم ، وملتقى طلباتهم في سقيا أنعامهم .
ومعلوم أن خلق السماء والأرض من آيات الدالة على البعث ، كما تقدم مرارا .
وتقدم للشيخ عند قوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ رُضًا } . بيان
كونها آية . أما الأرض وكيف سطحت ، فإن الآية فيها مع عمومها كما في قوله : { لَخَلْقُ
السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ رُضًا أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } .
وقوله : { كَيْفَ سَطَّحَتْ } آية ثابتة ، لأن جرمها مع إجماع المفسرين على تكويرها ،
فإنها ترى مسطحة أي من النقطة التي هي في امتداد البصر ، وذلك يدل على سعتها وكبر
حجمها ، لأن الجرم المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حداً بعيداً يكاد سطحه يرى مسطحا
من نقطة النظر إليه ، وفي كل ذلك آيات متعددة للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق
، وعلى إيقاع ما يغشاهم على مختلف أحوالهم .
وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه التنبيه على هذا المعنى ، عند الكلام على